

بشَطِّي نهر دارِيا
 أتانا مئتا ألف
 فدا سوا المَرَجِ والغُوطِ
 ورايات وُضِّلَباناً
 فقلنا إذ رأينا هم
 وشيخاً فندلاوياً
 ومنها:

ولكن غادروا القسِي
 سن تحت الأرض مدفونا
 من أبيات^(١).

وقال الحافظ ابن عساكر: وأقام مدة ببانياس خطيباً، وكان شيخاً كبيراً، ودرّس بدمشق في حلقة المالكية، ولما قُتِلَ حُمِلَ إلى الباب الصغير، فدفن به، وقبره من جانب المصلّى قريباً من الحائط، وعليه بلاطة منقورة فيها شرح حاله. ورآه بعض أصحابه في المنام في تلك الليلة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في جنّات عدنٍ مع قومٍ على سررٍ متقابلين.

السنة الرابعة والأربعون وخمس مئة

فيها في ربيع الأول استوزر المقتفي أبا المظفر يحيى بن محمد بن هُبيرة، عَوْنُ الدّين، وخالع عليه.

وفي رجب عاد البقش، وجمّع الجموع، وقصد العراق، وانضمّ إليه ملك شاه بن محمود وعليّ بن دُبّيس، وخالق من الأمراء والتركمان، فلما بقي بينهم وبين بغداد ثلاثة فراسخ بعثوا إلى الخليفة يطلبون منه الخطبة لملك شاه، فلم يجبهم، ودوّن العسكر، وحُفرت الخنادق، وبعث إلى أهل الجانب الغربي يأمرهم بالعبور إلى حريم الخلافة، وبعث ابن العبادي إلى مسعود يستحثه ويعرفه بما جرى، ويقول: عَجَلُ بالمجيء.

(١) انظر الأبيات وغيرها في «كتاب الروضتين»: ١/١٩٢-١٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وبعث إليه عمه سنجر يقول له: قد أحرقت البلاد، وقتلت العباد في هوى ابن البلنكري، فأبعده عنك، وإلا فما يكون جوابك غيري. فلم يلتفت، فرحل سنجر إلى الرّي، وبعث يقول: قد جئت إليك. فسار مسعود جريداً إلى الرّي، فطيب قلبه، وخلع عليه، ولم يعاتبه في ابن البلنكري، وتأخر البقش عن بغداد، وجاء مسعود، فدخلها في ذي الحجة، فخرج إليه الوزير ابن هبيرة وأرباب الدولة لتلقيه، فأحسن إليهم، وجاء علي بن دُبَيْس، فرمى بنفسه على باب السلطان، فرضي عنه.

و[فيها]^(١) خرج نظر الخادم ليحج بالنّاس، فمرض بالكوفة، فاستتاب قيماز الأزجواني، فلما عاد نظر الخادم إلى بغداد توفي.

وفي ذي الحجة زلزلت بغداد زلزلة عظيمة، وبقيت الحيطان تموج عشرة مرات، وامتدت إلى حُلوان، فتقطع جبلها، وساخ في الأرض، وانهدمت أماكن، وهلك تحتها خلق كثير.

وفيها جمع الفرنج من الساحل ليقصدوا بلد حلب، فسار إليهم نور الدين بعساكره، وجمع كثير من التركمان، وكتب إلى [معين الدين]^(١) أن يستنجده، فبعث إليه الأمير بُزّان^(٢) في عساكر دمشق، وجاءته عساكر أخيه سيف الدين [غازي]^(٣) والجزيرة، وسار إلى أنطاكية، وخرج إليه البرنس^(٤)، فكانت بينهم وقعة عظيمة كسرهم نور الدين الكسرة المشهورة^(٤)، وقتل من كنودهم ألفاً وخمسمائة وأسر منهم مثلهم، وقتل البرنس، وحمل رأسه إلى نور الدين، فعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأسارى، فبعث ببعضها إلى أخيه وإلى الخليفة وإلى دمشق وإلى الملوك، وفيها يقول ابن القيسراني: [من السريع]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو مجاهد الدين بزّان بن مامين، أحد مقدمي أمراء الأكراد، وتوفي سنة (٥٥٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) هو ريموند Raymond of Poitou

(٤) هي وقعة إنّب، انظر «الروضتين»: ٢٠٤-٢١٧.

وَكَمْ لَهُ مِنْ وَقْعَةٍ يَوْمُهَا
عند ملوك الشَّرِكِ مشهودُ
حتى إذا عادوا إلى مثلها
قالت لهم هَيَبْتُهُ عُدُوا
مناقِبُ لم تك موجودةً
إلا ونورُ الدِّينِ موجودُ
وكيف لا نُثني على عَيْشِنَا الـ
محمود والسُّلطانُ محمودُ^(١)
وفيها فتح نورُ الدِّينِ حِصْنَ فامية، وكان على أهل حماة وحمص منه ضررٌ عظيم،
كانوا يشنون الغاراتِ منه على البلاد.

وكان جوسلين^(٢) صاحب تل باشر، وأغزاز، وعين تاب، والرَّاوندان، ورغبان
وكفرسود، وكيسون، وبهسنى، والبارة، ومرعش، وكفراثا، وحصن منصور،
 وغيرها من الحصون شمالي حلب، وكان على المسلمين منه بلاءٌ عظيم، فجهَّز إليه
نورُ الدين سلخداره، وظهر عليهم جوسلين، وأسرَ السلخدار، وبعثَ به هديةً إلى
صاحب الروم ابن قليج رسلان^(٣)، وقال: نَقَذْتُ إِلَيْكَ سِلْخَدَارَ صَهْرِكَ، وسأبعثُ إليك
بعد هذا غيره. وكان نور الدين قد صاهر ابن قليج رسلان، وبلغ نورُ الدِّينِ قوله، فعزَّزَ
عليه، فدرس جماعةً من التركمان وقال: من قدر منكم على جوسلين أعطيته من الأموال
والبلاد مهما أَرَادَ. فجاءت طائفةٌ منهم فنزلوا في بلد عين تاب، وخرج جوسلين ليغار
عليهم، فاستحسن منهم امرأة، فخلا بها تحت شجرة، وكَمَنَّ له التركمان، فأخذه
أسيراً، وكان نور الدين بحمص، فحملوه إليه، فأعطى من جاء به عشرة آلاف دينار،
وكان أسرُهُ مِنْ أعظمِ الفتوح في الإسلام، لأنَّه كان شجاعاً مقداماً غَدَّاراً، [غدر غير
مرة بالمسلمين]^(٤) ولما حصل بيد نور الدين أخذ منه جميع ما ذكرنا من القلاع والبلاد
بعد ذلك، وأمنَ النَّاسُ شرَّهُ.

(١) انظر بعض أبيات القصيدة في «كتاب الروضتين»: ١٩٩/١-٢٠٠.

(٢) أورد ابن الأثير في «كامله»: ١٥٤/١١ أسر جوسلين في حوادث سنة (٥٤٦هـ)، وساقه أبو شامة في
«الروضتين»: ٢٤٦-٢٤٧/١ في حوادث سنة (٥٤٥هـ).

(٣) هو السلطان مسعود بن قليج رسلان السلجوقي ركن الدين، تولى السلطنة ما بين السنة (٥١٠-٥٥١هـ)،
انظر «معجم الأنساب» لزماور: ٢١٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل وفيها توفي

أحمد بن الحسن بن علي^(١)

ابن إسحاق، أبو نصر بن نظام المُلْك.

وَزَرَ للمسترشد، ثم عُزِلَ على أحسن الوجوه، ووزر للسلطان محمد شاه، وتقلبت به الأحوال والدُّول، فرأى لزوم منزله، فلزمه إلى أن مات في ذي الحجة ببغداد، وكان فاضلاً عاقلاً، سمع الحديث من جماعة.

الحسن بن مسعود بن علي^(٢)

أبو علي الخوارزمي.

جده وزير تاج الدولة تثنش، وتوفي بمرو في المحرم، ومن شعره: [من الطويل]

أخِلايَ إِنْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِكُمْ فَإِنِّي بِمَرَوِ الشَّاهِجَانِ غَرِيبُ
أَمَوْتُ اشْتِيَاقاً ثُمَّ أَحْيَا بِذِكْرِكُمْ وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَالْفُؤَادِ لَهَيْبُ
فَمَا عَجَبٌ مَوْتُ الْغَرِيبِ صَبَابَةٌ وَلَكِنْ بَقَاؤُهُ فِي الْحَيَاةِ عَجِيبُ^(٣)

أحمد بن محمد بن الحسين^(٤)

أبو بكر الأَرَجَانِي، قاضي تُسْتَر، وَأَرَجَان بَلْدُهُ، منها سافر إلى العراق والشَّام ومِصر، وسمع الحديث، وتفقه بالنظامية، ومدح المُستظهر.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٣٨-١٣٩/١٠، و«الكامل»: ١٤٧/١١، و«الفخري»: ٣٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢١/٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣٦/٢٠.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥٩٩/٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٨٤-٢٨٥، و«معجم البلدان»: ١١٤/٥، و«ميزان الاعتدال»: ٥٢٣/١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٧٧/٢٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٦٩-٢٧٠/١٢، و«الجواهر المضية»: ٩١/٢، و«لسان الميزان»: ٢٥٦/٢، وعندهم وفاته سنة (٥٤٣هـ).

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، و«الخريدة»، و«معجم البلدان»، وفيه: وبين التراق والفلوع لهيب.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ١٧٤/١، و«المنتظم»: ١٣٩-١٤٠/١٠، و«معجم البلدان»: ١٤٤/١، و«الكامل»: ١٤٧/١١، و«وفيات الأعيان»: ١٥١-١٥٥/١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٧٣-٣٧٨/٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١٠-٢١١/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مفوّهاً، له المعاني الفائقة، والألفاظ الرائقة، وكانت وفاته بئسّتر، فمن شعره: [من الطويل]

ولمّا بلوتُ النَّاسَ أَظْلُبُ مِنْهُمْ
تَحِيَّرْتُ فِي حَالِي رِخَاءً وَشِدَّةً
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ
تَمَتَّعْتُ مَا يَا نَاطِرِيَّ بِنَظَرَةٍ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنِ فَوَادِي فَلِإِنَّهُ
وَقَالَ أَيْضاً: [من الطويل]

أَرَأَيْبُ مِنْ طَيْفِ النَّخِيلَةِ مَوْعِدَا
أَبِي اللَّيْلِ إِسْعَادِي^(٢) وَقَدْ طَالَ جُنْحُهُ
إِذَا رُمْتُمْ قَتْلِي وَأَنْتُمْ أَحِبَّةٌ
وَأَضْمِرُ فِي الْأَحْشَاءِ مِنْكُمْ تَحْرِقًا
وَأَمْنَعُ عَيْنِي الْيَوْمَ أَنْ تُكْثِرَ الْبِكَاءُ
وَقَالَ أَيْضاً: [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ سُدَّتِ النَّاسَ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ
فَبِتِّ سَاهِرًا وَأَمَلًا عِيُونَهُمْ كَرَى
وَمَا الْمَالُ إِلَّا لِلْمَعَالِي ذَرِيعَةٌ
عُلَاكَ سَوَارٌ وَالْمَمَالِكُ مِعْصَمٌ
بَقِيَتْ وَلَا أَبْقِي الرَّدَى لَكَ حَاسِدًا
وَأُورَقَ مِنْهَا بِالْمُنَى لَكَ عُودُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا الذِّكْرُ إِلَّا لِلْكَرَامِ خُلُودُ
وَجُودُكَ طَوْقٌ وَالْبَرِيَّةُ جِيدُ
فَإِنَّكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَرِيدُ^(٤)

= وأرجان - بتخفيف الراء وثقليلها - هي من كور الأهواز من بلاد خوزستان، وقد طبع ديوانه في بيروت أوائل هذا القرن، ثم حققه د. محمد قاسم مصطفى، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية سنة (١٩٨١) في ثلاثة أجزاء.

(١) ديوانه ص ٨٦ .

(٢) الإسعاد: المشاركة في النياحة، انظر «اللسان» (سعد).

(٣) ديوانه: ص ٩٧ .

(٤) ديوانه: ص ١٠٥-١٠٦، وهذه الإحالات الثلاث على طبعة بيروت ١٨٩٠م مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال يذم مصر: [من الوافر]

تَرَكْنَا أَرْضَ مِصْرَ لِكُلِّ قَدَمٍ^(١)
 نَفُوسٌ لَا تَلِيْقُ بِهَا الْمَعَالِي
 إِذَا غَلِطُوا بِإِحْسَانٍ تَلَثُّهُ
 أَقْمَتْ بِهَا وَمَنْ نَكَدِ اللَّيَالِي
 وَكَمْ خَلَّفْتُ مِنْ كَرَمٍ مُهَانٍ
 وَمَنْ مَالٍ مَضُونٍ الْعِرْضِ تَحْمِي
 وَأَجْسَامٍ مُسَمَّنَةٍ شِبَاعٍ
 وَنَقْصٍ فِي أَكَابِرِهَا خَصِيصٍ
 إِنْ بَأَنْتَ سَرَائِرُكُمْ وَكَانَتْ
 جَعَلْتُمْ دِينَنَا أَنَا سَمِعْنَا

وقال: [من الطويل]

أَقُولُ لَطَبِي مَرَّبِي وَهُوَ رَاتِعٌ
 فَقَلْتُ يُقَالُ الْمُسْتَقِيلُ مِنَ الْهُوَى
 وَقَالَ أَيْضاً مِنْ شِعْرِهِ: [من البسيط]

حَيْثُ انْتَهَيْتَ مِنَ الْهَجْرَانِ بِي فَقَفِ
 يَا عَابِثاً بِعِدَاتِ الْوَصْلِ يُخْلِفُهَا
 يَسْتَوْصِفُونَ لِسَانِي عَنْ مَحَبَّتِهِمْ
 لَيْسَتْ دَمُوعِي لِنَارِ الشُّوقِ مُظْفِفَةٌ
 لَمْ أَنْسَ يَوْمَ رَحِيلِ الْحَيِّ مَوْقِفَنَا
 وَالْعَيْنُ مِنْ لَفْتَةِ الْغَيْرَانِ مَا لِحِظْتُ
 وَفِي الْحُدُوجِ الْغَوَانِي كُلُّ آنَسَةٍ

لَهُ بَاعٌ يُقَصِّرُ عَنْ ذِرَاعٍ
 وَأَخْلَاقٌ تَضِيقُ عَنِ الْمَسَاعِي
 عِدَادٌ مِنْ إِسَاءَاتٍ تَبَاعِ
 مَقَامِ الْأُسْدِ فِي كَنْفِ الضُّبَاعِ
 بَعَرَصَتْهَا وَمَنْ لُؤْمٍ مُطَاعِ
 جَوَانِبُهُ وَمَنْ عَرَضِ مُضَاعِ
 وَأَعْرَاضٍ مَضْمَرَةٍ جِيَاعِ
 وَجَهْلٍ فِي أَصَاغِرِهَا مُشَاعِ
 مَسَاوِيكُمْ تَقَامُ عَلَى بِقَاعِ
 وَمَا الْأُذْنَانِ إِلَّا لِلْسَّمَاعِ^(٢)

أَأَنْتَ أَخُو لَيْلَى فَقَالَ يُقَالُ
 إِذَا مَسَّهُ ضُرٌّ فَقَالَ يُقَالُ^(٣)

وَمِنْ وَرَاءِ دَمِي بَيْضُ الظُّبَى فَخَفِ
 حَتَّى إِذَا جَاءَ مِيعَادُ الْفِرَاقِ يَفِي
 وَأَنْتَ أَصْدَقُ يَا دَمْعِي لَهُمْ فَصِفِ
 وَكَيْفِ، وَالْمَاءُ بَادٍ وَالْحَرِيقُ خَفِي
 وَالْعَيْسُ تَطْلُعُ أَوْلَاهَا عَلَى شَرَفِ
 وَالذَّمْعُ مِنْ رِقْبَةِ الْوَاشِيْنَ لَمْ يَكْفِ
 إِنْ يَنْكَشِفُ سِجْفُهَا لِلشَّمْسِ تَنْكَسِفِ

(١) القدم: الغليظ الأحمق الجافي، «معجم متن اللغة»: ٣٧٢/٤.

(٢) لم أجد الأبيات في «ديوانه».

(٣) لم أجد البيتين في «ديوانه».

ساروا وفيهم حياة المُعْرَمِ الدَّنْفِ
وإن أُمْتُ هكذا شوقاً فيا أسْفِي^(١)

لو أَنَّهُمْ رَفَقُوا يوماً بما ملكوا
لله ما أخذوا^(٢) مني وما تركوا
حَسِبْتَ مِسْكَاً على الآفاقِ يَنْفَرِكُ
والشَّمْعُ عند اشتعالِ الرأسِ ينسبُكُ
فطالما راقها مِنْ قَبْلِهَا حَلَكُ
منك الخطوبَ بجنبي وهي تَنْعَرِكُ
دَحْلاً وَخَلْفَكَ منه ثائرٌ مَحِكُ

أين السَّمَاكُ إذا قايسْتَ والسَّمَاكُ
فالحَبْلُ في الدَّرِّ مما ليس ينسلكُ
فما لغيركُمُ في إرثكُمُ شَرِكُ
وهم بياذقَه إن صَفَّ مُعْتَرِكُ
إلا غدا رَأْسُه في التُّرْبِ يَنْمَعِكُ
في حَفْلِه^(٤) مَلِكُ في سرِّه مَلِكُ
وإن ذكرنا حِجَاهِ فهو مُحْتَنِكُ
وكم معاشرَ عاشوا بعدما هلكوا^(٥)

في ذمَّةِ اللهِ ذاكَ الرِّكْبُ إنَّهُمْ
فإن أَعِشْ بعدهمُ فَرْداً فيا حَزَنِي
وقال أيضاً: [من البسيط]

هُم نازلون بقلبي أَيْةً سلكوا
ساقوا فوادي وأبقوا في الحشا حُرْقاً
إذا الصِّبَا سَحَبَتْ أذبالها سَحْراً
قد أشعلَ الشَّيْبُ رأسي للبلأ عَجِلاً
فإن يكن راعها مِنْ لونه يَقَقُ^(٣)
حتى متى وإلى كَمِ يا زمانُ أرى
أبعدَ عدلِ نظامِ المُلْكِ تحمِلُ لي
ثم خاطب أعداءه، فقال:

يا مُتَعَباً نَفْسَه في أن يُساجِلَه
دَعُوا الوِزَارَةَ عنكُمُ تريحوا نَصَباً
ورثتُمُ يا بني إسحاقَ مَنْصِبَها
أنتمُ فرازين هذا الدَّسْتِ نعلمكُمُ
فما تَفَرِّزَنَ منهمُ بيذقُ أبداً
في دَسْتِه قمرٌ في دِرْعِه أَسَدُ
إذا عَدَدْنَا سِنِيه فهو مُقْتَبِلُ
اليومِ عاشَ نظامُ المُلْكِ ثانية

(١) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٩٤٠-٩٤٧.

(٢) في (ع) و(ح): حزني لما أخذوا.. والمثبت من «ديوانه».

(٣) اليقق: الشديد البياض الناصع. «معجم متن اللغة»: ٨٣٨/٥.

(٤) في (ع) و(ح): خلقه، والمثبت من ديوانه.

(٥) القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض الألفاظ في «ديوانه»: ١٠٢٢-١٠٣٢.

وقال أيضاً من شعره: [من الوافر]

جَعَلْتُ طَلِيعَتِي طَرْفِي سَفَاهَا
وهل يُحْمَى حَرِيمٌ مِنْ عَدُوٍّ
وَلِي نَفْسٌ إِذَا مَا اشْتَدَّ شَوْقاً
وَدَمْعٌ يَنْصُرُ الْوَاشِينَ ظُلماً
وَمُحْتَكِمٌ عَلَى الْعُشَّاقِ جُوراً
يُريكَ بَوَجْنَتَيْهِ الْوَرْدَ غَضّاً
تَأْمَلُ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدُغِ خالاً
خَطَبْتُ نَوَالَهُ الْمَمْنُوعَ حَتَّى
فَأَرَّقَ مُقْلَتِي شَوْقاً وَوَجْداً
وهذه الأبيات وازن بها أبيات أبزون العماني (٣):

نقود وعودها صارت نسايا
إذا أنشدت في التّعريض بيتاً
وربّ قطيعة جَلَبَتْ وصالاً
شكّت وجرّداً إليّ فآنستني
فلا ملّت معاتبتي فإني
وليلة أقبلت في القصر سكرى
ثنيينا السوء عن ذاك التثني
كأنّ خدودها أوراق ندى
وما خلقت عيون العين أنى
فمنها ما يتيح لك الأمانى
وعاد نوالها الميسور وايا
تلت من سورة الإعراض آيا
وكم في الحب من نكت خفايا (٤)
وبعض الأنس في بعض الشكايا
أعدّ عتابها بعض العطايا
تهادى بين أثراب حظايا
وأثنيينا على تلك الثنايا
عليها من ندى ظل بقايا
نظرت سوى ذهاب للبرايا
ومنها ما يبيح لك المنايا

(١) الربايا جمع، مفردها ربيثة، وهو الطليعة الذي ينظر للقوم لثلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. «اللسان» (رباً).

(٢) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ١٥٥٤-١٥٦٢.

(٣) انظر ترجمته في «دمية القصر»: ١/١٢٠-١٢٩، وانظر «المنتظم»: ١٣٩/١٠.

(٤) في (ح) استدرك هذا البيت في هامشها، ثم جاء في آخر الأبيات في (ع) و(ح).

وقال الأَرَجَانِي : [من البسيط]

بعد الصَّبَاح الذي فارقتكم فيه
 قد كان أوَّلُ صُبْحٍ بعد عَهْدِكُمْ
 فالذَّهْرُ بعدكم ليلُ الأيسُّه
 قد كِدْتُ أختِمُ ظرْفِي وَحِشَّةَ لَكُمْ
 قد صَوَّرَ الوَهْمُ^(١) في عيني مثالكُم
 فكلُّ ناظرٍ إنسانٍ أقابِلُهُ
 يلومني في هوى الأَحبابِ كلُّ فتى
 يَعِينِي في الهوى بَغِيًّا وَيَعْدِلُنِي
 أَقِلُّ من عَدَلٍ تَلَقَّى المشوقَ به
 دَعَّ عنك قلبي فإنَّ الحُبَّ أمرُهُ

أَنر بن عبد الله معين الدين^(٥)

مملوك أتابك طُغْتِكِين، والي دمشق، وصاحبُ أمرها نيابةً عن أولاد طُغْتِكِين.
 كان صالحاً، عادلاً، مُحسناً، كافاً للظلم، مجتنباً للمآثم، محباً للعلماء والفقراء،
 أوقف أوقافاً كثيرة على أبواب البرِّ، وبذل مجهودَهُ في حِفْظِ بيت سَيِّدِهِ طُغْتِكِين، ولما

(١) في (ع) و(ح): الدهر، والمثبت من «الديوان».

(٢) في «الديوان»: يصميني ويخطبه.

(٣) في (ح): بالتأديب.

(٤) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ١٥٠٨-١٥١٥/٣.

(٥) أخباره مبثوثة في «تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥، و«الاعتبار» لأسامة بن منقذ: ٢٨، ٥٣، ٦٦،
 ١٠٤ وغيرها، و«الكامل»: ١٤٧/١١، و«كتاب الروضتين»: ٢٢٢-٢٢٣/١، وله ترجمة في «سير أعلام
 النبلاء»: ٢٢٩-٢٣٠، و«العبر»: ١٢١-١٢٢/٤، و«الوافي بالوفيات»: ٤١٠-٤١١، و«النجوم
 الزاهرة»: ٢٨٦/٥، و«مناداة الأطلال»: ٢٠٤-٢٠٥، وقد أغفل ذكره ابن عساكر في تاريخه.
 وأنر، بضم الهمزة وفتح النون، وآخرها راء، هكذا ضبطه المنذري في «التكملة لوفيات النقلة»: ١٣١/٢،
 وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»، ١١٩/١، وضبطه الصفدي في «الوافي بالوفيات»: بفتح الهمزة
 وضم النون، وفي «النجوم الزاهرة»: ضبط ضبط قلم بضم الهمزة والنون، وقال محققه: كذا وجدته مضبوطاً
 بالقلم في هامش الأصل، أما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، وفي ابن الأثير ضبط بالقلم بفتح النون.

مات في ثالث عشر^(١) ربيع الآخر شرع الأمير^(٢) مجير الدين أبق في الانحلال، [وآل أمره إلى الاضمحلال]^(٣).

قال أبو يعلى بن القلانسي: كان معين الدين بحوران في عساكر دمشق مقابل الفرنج يحفظ البلاد من غاراتهم، فمرض بدوز نظاريا، وضعفت قوته، وهو مع هذا يركب كل يوم في العساكر يُرعب العدو، فخيّف عليه، فحُمِلَ في محفة إلى دمشق، فزاد به المرض، فتوفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفِنَ في إيوان الدار التي كان يسكنها، ثم نُقِلَ إلى المدرسة التي عمّرها. ولما فرغ من دفنه اجتمع حسام الدين بلاق ومؤيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بُران وأعيان الأجناد عند مجير الدين، واتفقوا على إصلاح الأحوال.

ونادى مجير الدين بإبطال المكوس وما يضر الرعية، ثم استوحش مؤيد الدين بن الصوفي من مجير الدين، فجمع الغوغاء والأحداث، وأعطاهم السلاح، وربّهم حول داره ودار أخيه زين الدولة حيدرة للاحتماء بهم، وذلك في شهر رجب، فراسلها مجير الدين بما طيب قلبهما، فما التفتا، وقصدا باب الحبس وكسراه، وأطلقا من كان فيه، واستنفرا العوام من أهل الشاغور وقصر حجاج وباب شرقي^(٤)، فعزم مجير الدين على تفرقة السلاح في العساكر والخروج من القلعة لقتالهم، فأشار جماعة بالتأني، وقالوا: نخاف على البلد من النهب والحريق. ووقعت المراسلات، فاتفق الحال على أن يكون الرئيس مؤيد الدين ملازماً لداره، وأن يكون ولده وولد أخيه في الخدمة، فأقام، ثم أثار الفتنة، وجمع العوام والفلاحين، وزحفوا إلى القلعة، واقتلوا إلى أن تقرّر أن مجير الدين يُبعد عنه من كره الرئيس مؤيد الدين، وعاد الرئيس إلى وزارته على حاله.

(١) كذا في النسخ الخطية، وسيأتي نقلاً عن ابن القلانسي أنه توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وهو الصواب.

(٢) في (ع) و(ح) أمر، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) في (ح) إلى الاضمحلال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أحياء في دمشق ما زالت تحمل الأسماء نفسها.

وأُظْلِقَ أيدي النَّهَابَةِ فِي نَهَبِ دُورِ السَّلَارِيَّةِ^(١)، ثُمَّ سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ، وَاتَّفَقَ الْأَمْرُ أَنَّ الرَّئِيسَ لَا يَشَارِكُهُ فِي التَّدْبِيرِ وَالْوِزَارَةِ أَحَدًا.

وَلَمَّا تَقَرَّرَ أَمْرُ دِمَشْقَ كَتَبَ نُوْرُ الدِّينِ إِلَى مَجِيرِ الدِّينِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَلْفَ فَارِسٍ تَصِلُ إِلَيْهِ مَعَ مَقَدِّمٍ يُعَوِّلُ عَلَيْهِ لَجِهَادِ الْفَرَنْجِ، وَأَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى قَصْدِهِمْ. فَغَالَطُوهُ، وَعَلِمَ قَصْدَهُمْ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِمَرْجِ يَبُوسَ وَبَعْضَ عَسَاكِرِهِ بِيَعْفُورَ، فَرَأَسَلَ مَجِيرَ الدِّينِ الْفَرَنْجِ، وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى نُورِ الدِّينِ، وَكَانُوا عَلَى عَسْقِلَانَ وَيَعْمُرُونَ عَزَّةَ، فَجَاؤُوا إِلَى بَانِيَّاسَ، وَعَرَفَ نُورُ الدِّينِ خَبْرَهُمْ، فَلَمْ يَحْفِلْ بِهِمْ، وَلَا انْتَهَى عَنْ جِهَادِهِمْ، وَهُوَ مُحَسِّنٌ إِلَى الرَّعَايَا، كَافَّةً الْجُنْدَ عَنْ أَذَى الْفَلَاحِينَ، وَالِدُّعَاءَ لَهُ كَثِيرًا، وَكَانَ الْغَيْثُ قَدْ مُنِعَ، فَجَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ وَرَوَيْتِ الْبِلَادَ، فَقَالُوا: هَذَا بَبْرُكَةٌ حُلُولِ رِيكَابِ نُورِ الدِّينِ. ثُمَّ سَارَ مِنْ يَعْفُورَ، فَنَزَلَ جِسْرَ الْخَشْبِ^(٢) فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَرَأَسَلَ مَجِيرَ الدِّينِ وَالرَّئِيسَ يَقُولُ: مَا قَصَدْتُ بِنُزُولِ هَذَا الْمَنْزَلِ مَحَارِبَتِكُمْ، وَلَا أَنَا طَامِعٌ فِي بِلَادِكُمْ، وَإِنَّمَا بَلَّغْنِي فَعَلُ الْفَرَنْجِ وَالْعَرَبِ بِأَهْلِ حُورَانَ مِنْ السَّبْيِ وَالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَذَبْحِ الْأَطْفَالِ مَعَ عَدَمِ النَّاصِرِ لَهُمْ، وَأَنْتُمْ فَلَا دِينَ لَكُمْ وَلَا مَرْوَةَ، وَقَدْ وَاطَأْتُمْ الْفَرَنْجِ عَلَيَّ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ وَعَلَى النَّاسِ كَافَّةً جِهَادَ الْكُفَّارِ، فَلَا عُذْرَ لِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ عِنْدِي الْمَالَ وَالرِّجَالَ، وَأَنْتُمْ فَعَاجِزُونَ عَنِ الدَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الْإِسْتِصْرَاحِ بِالْفَرَنْجِ لِمَحَارِبَتِي، وَبِذَلْتُمْ لَهُمْ أَمْوَالَ الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الرَّعِيَةِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَهَذَا مَا يَرْضِي اللَّهُ وَلَا الْمُسْلِمِينَ. فَكَانَ الْجَوَابُ: مَالِكٌ عِنْدَنَا سِوَى السَّيْفِ، وَإِنْ نَازَلْتَنَا اسْتَدْعَيْنَا الْفَرَنْجَ لِدَفْعِكَ عَنَّا. فَلَمَّا جَاءَتْهُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَزَمَ عَلَى الرَّحْفِ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي الْعَاقِبَةِ، وَحَقَّنَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ أَمْطَارًا كَثِيرَةً، فَأَقَامَتْ أَيَّامًا، فَتَأَخَّرَ عَنْهَا^(٣).

(١) يعني السلار زين الدين حيدرة، وأخاه مؤيد الدين وأصحابهما، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أي نواحي داريا.

(٣) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥-٤٨٠، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/٢٢٣-٢٢٥ و٢٣٩-٢٤١.

سُلطان بن علي بن مُقَلَّد^(١)

ابن نصر بن مُنْقَد، أبو العساكر، صاحب شيزر.

ولد بطرابلس سنة أربع وستين وأربع مئة، سمع من إبراهيم الحنفي^(٢) «صحيح البخاري» بشيزر، وولي إمرتها بعد أخيه نصر بن علي^(٣)، وكان فاضلاً، وله أشعار كثيرة، فمن شعره يوصي بنيه: [من الكامل]

أَوْصِيكُمْ بِتَقَى الَّذِي أَعْطَاكُمْ مُلْكَاً تَذِلُّ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَخْضَعُ
وَبِحِفْظِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ مَا غَدَا نَجْمٌ يَغُورُ بِأُفْقِهِ أَوْ يَطْلُعُ
لَا تُشْمِتُوا بِكُمْ الْوَشَاةَ وَحَاذِرُوا أَقْوَالَهُمْ فَهِيَ السَّمَامُ النُّقَعُ^(٤)
مَا قَطَّعَ الْأَرْحَامَ جَاهِلُكُمْ بِمَا أَبْدَاهُ بِلِ كَبِيدِي بِذَاكَ يُقَطِّعُ
وَإِذَا يَيْسَتْ مِنَ الصَّلَاحِ لِفِعْلِكُمْ أَمَلْتُ^(٥) أَصْلَكُمْ الزَّكِيَّ فَأَطْمَعُ
فَأَبُوكُمْ مَنْ لَيْسَ يُنْكَرُ أَنَّهُ النَّـ ذُبُّ الْكَمِيِّ الْأَلْمَعِيِّ الْأَرْوَعُ^(٦)
ذَاذَ الْجِيُوشِ بِرَأْيِهِ وَبَسَيْفِهِ عَنِ شَيْزِرٍ فَتَفَرَّقُوا وَتَصَدَّعُوا^(٧)
وكانت وفاته بشيزر، وقيل: مات سنة ثلاث وأربعين^(٨).

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٣٨٧-٣٨٨/٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩٧-٢٩٨/١٥ - وذكر وفاته سنة (٥٥٢هـ) وقد ذكر بعض أخباره أسامة ابن منقذ في «الاعتبار»، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣٥٣/١، و«كتاب أسامة ابن منقذ» لحسن عباس: ٤٧-٣١/١.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر التنوخي المعري أبو السمح، رحل إلى أصبهان، وسمع الحديث بها وبغيرها، وكان زاهداً، ورعاً، دينياً، وتوفي بشيزر سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٤٥٦/٢، و«الوافي بالوفيات»: ٤٥-٤٦/٦، و«الجواهر المضية»: ٨٧-٨٨/١، وفيه: إبراهيم بن عبد الله بن جعفر.

(٣) وذلك سنة (٤٩١هـ).

(٤) السَّمَامُ جمع، مفردها سم، والنقع جمع كذلك، مفردها ناقع: سم ناقع أي بالغ قاتل.

(٥) في (ع) و(ح): مثلث، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٦) الندب: الخفيف في الحاجة، والكمي: الشجاع المقدم الجري، والألمعي: الذكي المتوقد، والأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه.

(٧) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» مع اختلاف في ترتيبها.

(٨) وهو ما اعتمده ابن عساكر.

عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم^(١)

ابن المستنصر، أبو الميمون.

الحافظ صاحب مصر، ولم يكن في المصريين من أبوه غير خليفة سواه والعاقد. ولي الحافظ سنة سبع^(٢) وعشرين وخمس مئة، وكانت وفاته ليلة الأحد خامس جمادى الآخرة، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وشهوراً وأياماً، وكانت وفاته بمرض الكبد. وكان قد اخترع ألقاباً يُخَطَّبُ له بها على المنابر، فكان الخطيبُ يقول: وأصلح من شَيَّدتْ به الدِّين بعد دُثورِه، وأَعَزَّتْ به الإسلامَ بأن جعلته سبباً لظُهورِه، مولانا وسيدنا إمامَ العصر والزَّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله، صلى الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين، حُجِّجَ اللهُ على العالمين.

وسببُ هذا أنَّه لما استولى عليه أبو علي أحمد بنُ الأفضل أميرُ الجيوش أسقط اسمَه من المنابر، وخطب للمنتظر المهدي، وأسقط من الآذان «حيَّ على خير العمل»، ودعا إلى نفسه على المنابر: بناصر إمام الحق، هادي العُصاة إلى اتِّباع الحق، مولى الأُمم^(٣)، ومالك فضيلتي السِّيف والقلم. ولم يزل كذلك حتى قُتِلَ ابنُ أمير الجيوش، فجَدَّدَ الحافظ هذه الألقاب.

وورَّز له جماعةٌ فأساؤوا التَّدبير، منهم: يانس أبو الفتح أمير الجيوش ومات، فوزر له ابنُه حسن، ثم ورَّز له بهرام النَّصراني^(٤)، ثم تولى الحافظ الأمور بنفسه إلى أن مات.

(١) له ترجمة في «الكامل»: ٦٦٤/١٠، ١٤١/١١-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٢٣٥-٢٣٧/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠٢-١٩٩/١٥، و«العبر» للذهبي: ١٢٢/٤، و«اتعاظ الحنفا»: ١٣٧-١٩٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٣٧-٢٤٦/٥.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) و(ش): ست وعشرين، وهو الصواب، وكان الحافظ قد بويع بعد مقتل الأمر سنة (٥٢٤هـ) ليدبر المملكة إلى أن يولد حمل للأمر إن ولد، وكان الغالب على أمره أبو علي بن الأفضل، ثم لما قتل سنة (٥٢٦هـ) جددت البيعة للحافظ، واستقل بالأمر، انظر ص ٢٥٠، وقد ذكر فيها مقتل الأفضل في وفيات سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠٠/١٥.

(٣) في «اتعاظ الحنفا»: ١٤٤/٣: «هادي القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده.. مولى النعم، رافع الجور عن الأُمم...»، وانظر «النجوم الزاهرة»: ٢٣٨/٥.

(٤) كذا قال، وهو وهم، إذ قد ولي بعده رضوان بن الوخشي، ولم يستوزر الحافظ أحداً بعد رضوان، انظر «اتعاظ الحنفا»: ١٨٤/٣، ١٨٩.

ثم ولي بعده ولده أبو المنصور يوسف بن عبد المجيد، ولُقِّب بِالظَّافِرِ بِاللَّهِ، وَأُمُّهُ أُمٌ
وُلِدَتْ تَدْعَى سِتَّ الْوَفَاءِ، وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَقِيلَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
[وخمسة مئة] ^(١)، وَقُتِلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ سَلْخِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ، فَكَانَتْ أَيَّامُهُ
أَرْبَعِ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَعَمْرُهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ سِنِينَ ^(٢)، وَسَنَذَكَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣).
وَقَالَ ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ: وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَرَدَّ الْخَبْرُ مِنْ مِصْرَ بِوَفَاةِ الْحَافِظِ بِأَمْرِ
اللَّهِ فِي الْخَامِسِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ وَوُلِدَهُ الْأَصْغَرُ أَبُو مَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ
وَلَقَّبَ بِالظَّافِرِ بِاللَّهِ - وَالْمَشْهُورِ يَوْسُفَ ^(٤) - وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ أَمِيرَ الْجِيُوشِ أَبُو الْفَتْحِ بْنِ
مَصَالِ الْمَغْرِبِيِّ، فَأَحْسَنَ السِّيْرَةَ وَأَجْمَلَ السِّيَاسَةَ، فَاسْتَقَامَتِ الْأَحْوَالُ، ثُمَّ حَدَّثَ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنْ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ، وَالخُلْفِ بَيْنَ السُّودَانَ وَالْعَسَاكِرِ بِحَيْثُ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ
الْعَدَدَ الْكَثِيرِ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ^(٥).

عثمان بن محمد بن أحمد الرويدشتي ^(٦)

من شعره: [من السريع]

وَالشَّيْبُ لَا تَدْفَعُهُ حَيْلَةٌ كَالظَّلِّ إِنْ جَانَبْتَهُ يَثْبَعُ
وَطَوَّلُ عُمُرِ الْمَرْءِ أَدَى إِلَى مَا يُبْتَلَى بِالْحَادِثِ الْمُفْطَعِ ^(٧)
لَوْ أَنَّ عَيْشِي يُشْتَرَى بَعْتُهُ لِأَنَّهُ ضَرٌّ وَلَمْ يَنْفَعِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني حين بوبيع، وهذا القول على التجوز، وإلا فقد عاش اثنتين وعشرين سنة، فقد ذكر أن ولادته كانت سنة (٥٢٧هـ).

(٣) انظر ص ٤٥٠ من هذا الجزء.

(٤) سماه في صدر الخبر يوسف، وهو قول سبط ابن الجوزي، ولم يسمه هذا الاسم غيره، انظر «النجوم الزاهرة»: ٢٨٨/٥.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٨.

(٦) له ترجمة في «الوفاي بالوفيات»: ٥٠٩/١٩، وكان يعلم ببغداد أولاد الأكابر، وكان هاجياً مادحاً.

(٧) المقطع: الشديد الشنيع. «اللسان» (فطع).

عياض بن موسى بن عياض^(١)

أبو الفضل المغربي، قاضي سبته، كان كبير الشأن، غزير البيان^(٢)، وله التصانيف الفاخرة، منها كتاب «الشفا بفضائل المصطفى»^(٣) وغيره، وكانت وفاته بسبته^(٤)، وقيل: مات سنة ثلاث وأربعين، ومن شعره: [من السريع]

انظر إلى الزرع وخاماته^(٥) تحكي وقد هبت عليها الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح^(٦)
وقال علي بن هارون^(٧) يمدحه: [من الكامل]

ظلموا عياضاً وهو يحكمهم عندهم^(٨) والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الرأ عينا في اسمه كي يكتموه وإنه معلوم
لولاه ما فاحت أباطح سبته والرؤض بين فنائها معدوم^(٩)

(١) له ترجمة في «الصلة» لابن بشكوال: ٤٥٣-٤٥٤/٢، و«الخريدة»، قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٠١-٥٠٥/٣، و«بغية الملتمس»: ٤٣٧، و«إنباه الرواة»: ٣٦٣-٣٦٤/٢، و«المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي» لابن الأبار: ٣٠٦-٣١٠، و«وفيات الأعيان»: ٤٨٣-٤٨٥/٣، و«الإحاطة في أخبار غرناطة»: ٢٢٢-٢٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١٢-٢١٨/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) طمست الترجمة في التصوير، وفي (ح): كان كثير البيان غزير اللسان، وهو تحريف، والصواب ما هو مثبت، وقد استفدناه من «الخريدة»: ٥٠١/٣.

(٣) هو كتاب مشهور مطبوع متداول، وقد قال فيه الإمام الذهبي في «السير»: ٢١٦/٢٠: وتوالياه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا» لولا ما حشاه بالأحاديث المتفعلة عمل إمام لا نقد له في متن الحديث ولا ذوق.. وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات.

(٤) كذا قال، وهو وهم، والصواب أنه توفي بمراكش، دفن فيها كما ذكرت مصادر ترجمته، وقال العماد في «الخريدة»: إنه توفي بفاس.

(٥) الخامة: الغصنة الرطبة من النبات. «اللسان» (خوم).

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٥٠٣/٣.

(٧) هو أبو الحسن الشنتمري، له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ٢/٢ مج ٢-٦٣٧-٦٣٩، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٧٢-٥٧٤/٣، و«المغرب في حلى المغرب»: ٣٩٥-٣٩٦.

(٨) في «وفيات الأعيان»: وهو يحلم عنهم.

(٩) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٧٣/٣، و«وفيات الأعيان»: ٤٨٤-٤٨٥/٣.

عيسى بن هبة الله بن عيسى^(١)

أبو عبد الله البغدادي.

ولد سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وكان لطيفاً ظريفاً.

قال الشيخ أبو الفرج: كان يحضر مجلسي، فانقطع، فكتبت إليه رقعةً فيها نوعُ

احترام، فكتب إليّ: [من مخلع البسيط]

خشيتُ نَقْصاً من الزيادة

قد زدّني في الخطابِ حتى

ولا تُغيّر عليّ عادةً^(٢)

فاجعلْ خطابي خطابَ مثلي

وقال: [من المتقارب]

نشاطاً فذلك موتٌ خفي

إذا وجد الشيخُ في نفسه

له لَهَبٌ قَبْلَ أَنْ يَنْطَفِي^(٣)

ألسّت ترى أن ضوء السراج

وقال: [من الكامل]

مالي وحقك عنك من بدل

يا من تبدل بي وأمكّنهُ

عن عهدٍ ودك قَطُّ لم أحل

إن كنت حُلّت فإنني رَجُلٌ

في عُنفوانٍ شبيبة الأمل^(٤)

لَهفي على طَمَعٍ أُصِبتُ به

وكانت وفاته في جمادى الأولى، ودفن بباب حرب، وكان من محاسن الزمان،

خفيف الروح، كثير التوادد، رقيق الشعر، عاشر الناس، وتخلّق بأخلاق الكرام.

غازي بن زنكي بن آق سنقر^(٥)

سيف الدين صاحب الموصل، [أخو نور الدين، وكان]^(٦) أكبر أولاد زنكي.

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٣/م ٤٨-٥١، و«المنتظم»: ١٤١/١٠، و«عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» ترجمه ابنه مهذب الدين علي: ٦٣٥، و«وفات الوفيات»: ١٦٥-١٦٦.

(٢) «المنتظم»: ١٤١/١٠.

(٣) البيتان في «الخريدة» و«المنتظم».

(٤) الأبيات في «المنتظم».

(٥) أخباره في «الكامل»: ١٣٨-١٣٩، و«الباهر»: ٨٤-٩٤، و«كتاب الروضتين»: ٢٢٧-٢٣٠، و«وفيات الأعيان»: ٤-٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩٢-١٩٣، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

لما عاد من الشام نزل على دارا فملكها، وحاصر ماريين، وفيها حسام الدين تمرتاش، فراسله واصطلحا، وزوجه ابنته الخاتون بنت تمرتاش، وعاد إلى الموصل مريضاً بعلّة القولنج، وكان يعتربه كثيراً، وحملت إليه الخاتون وقد اشتد مرضه، فمات سلخ جمادى الآخرة، ولم يدخل بها، وعاش أربعاً وخمسين سنة [لأنه ولد سنة تسعين وأربع مئة]^(١)، وقيل: [عاش]^(١) أربعاً وأربعين سنة [وأنه ولد سنة خمس مئة]^(١) وأقام والياً ثلاث سنين وشهوراً.

وكان شجاعاً جواداً، حازماً، حسن السيرة والعشرة والصورة، وهو أول من حمل السنجق^(٢) على رأسه من الأتابكية، ولم يحمله أحد قبله لأجل [السلطين]^(١) والسلجوقية، وآثاره بالموصل باقية، منها مدرسة الأتابكية، وقفها على الحنفية والشافعية، ودفن بها [والرباط للصوفية، ووقف الوقوف]^(١) ومدحه الحيص بيص^(٣)، وغيره. ولم يترك إلاً ولداً ذكراً: فأخذه محمود أخوه، فرباه، وزوجه بابنة عمه قطب الدين، فمات وهو شاب، وانقرض عقبه.

ولما مات سيف الدين كان أخوه قطب الدين بالموصل، فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين عليّ على توليته؛ لأنه كان لين الجانب، حسن الأخلاق، حليماً، كريم الطباع، فحلفوه وملكوه، وتزوج خاتون بنت صاحب ماريين التي لم يدخل بها [أخوه]^(١) سيف الدين، فأولاده الذين ملكوا الموصل منها خاصة^(٤)، وكانت [يحل لها أن تضع]^(٥) خمارها عند خمسة عشرة ملكاً من آبائها [وأجدادها]^(١) وأخوتها [وبني أخوتها]^(١) وأولادهم وأولادها، فقد ضاهت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وفاطمة بنت عبد الملك [بن مروان، وقد ذكرناهما]^(١)، وكذا في المتأخرات ربعة خاتون بنت

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) السنجق: لفظ تركي معناه الرمح، والمراد هنا العلم الذي هو الراية، إلا أنه لما كانت الراية إنما تجعل في أعلى الرمح عُبر بالرمح نفسه عنها، وحامله يسمى السنجقدار، انظر «صبح الأعشى»: ٤٥٨/٥.

(٣) في قصيدته التي مطلعها:

إلام يراك المجد في زي شاعر وقد نحللت شوقاً فروغ المنابر

وهي في «ديوانه»: ٣١٦/٢-٣٢٢.

(٤) في (م) و(ش): من خاتون هذه، ولم يملكها أحد من أولاد قطب الدين من غيرها، وهذه خاتون كانت..

(٥) في النسخ الخطية: تحمل، والمثبت من «الباهر» لابن الأثير: ٩٤.

[أيوب]^(١) أخت صلاح الدين [والعادل، وهي أعظم من غيرها في كثرة المحارم، وسنذكرها في سنة إحدى وأربعين وست مئة]^(١).

ولما ملك قُطْب الدِّين المَوْصِل كان أخوه نور الدين بحلب، وكان عبد الملك بن المُقَدَّم في سنجار، ومعه ولده شمس الدِّين محمد، فكاتبه نور الدين وهو دُزْدَار^(٢) في سنجار، فأجابه محمد، وكان أبوه عبد الملك من أمراء الدَّولة، وقيل: إنَّ محمداً كان بسنجار وعبد الملك بالمَوْصِل، فسار نور الدِّين من حلب في سبعين فارساً جريداً، فسَلَّم إليه محمد بنُ المُقَدَّم سنجار، وجاءته كُتُبُ الأُمراء من المَوْصِل، وبلغ الخبر قطب الدين، فخرج من المَوْصِل بالعساكر ومعه زين الدِّين وجمال الدِّين الوزير، فنزلوا تل أعفر^(٣)، وراسلوا نور الدِّين ينكرون عليه، فقال: أنا أكبر الأولاد، وأحقُّ منكم بالبلاد، وما جئتُ حتى كاتبني أمراؤكم يذكرون كراحتهم لكم، فخفتُ أن يحملهم بَعْضهم لكم على إخراج البلاد من أيدينا، ولا أقاتلكم إلا بمن معكم، ولهذا جئتكم جريداً. وهربَ إليه أعيانُ العسْكر، فقال لهم الوزير: يا قُطْبَ الدِّين ويا زين الدِّين نحن نُظْهر للخليفة والسُّلطان أننا تبعُ لنور الدِّين، ونور الدِّين يُظْهر للفرنج أنه تبعُ لنا، ويهدِّدنا بنا، فإن كاشفناه، وظهر علينا طَمَعُ فينا الخليفة والسُّلطان، وإن ظهرنا عليه طَمَعَ فيه الفرنج، ولنا بالشَّام جِمَص وهي بعيدةٌ عنا، ونحتاج إلى حِفْظها من العدو، والمصلحة أن نعطيها إياها ونأخذ منه سنجار، فقالا له: اخرجْ إليه ودبِّرْ معه هذا. فجاء الوزيرُ إلى نور الدِّين، وقرَّر معه الصُّلح، فرضي وقال للوزير: أريد أن تكون عندي. فقال له: فيك من الكفاية والنَّهضة ما لا تحتاج معه إلى وزير، وليس لك من الأعداء مثل ما لأخيك، فإنَّ أعداءه مسلمين، فيحتاج إلى من يقوم بأمره ويدفعهم، وأنتَ عدوك كافر، فالتَّاس يدفعونه دِيانَةً، ومتى كنتُ عند أخيك فنفعه عائدٌ إليك. فجعل له نور الدِّين في كلِّ سنة إقطاعاً بعشرة آلاف دينار، وكان الوزير يشتري بها أسارى من المسلمين في كلِّ سنة، فيُطلقهم، ولا يأخذ منها شيئاً.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي مالك القلعة، انظر «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»: ص ١٨١.

(٣) تل أعفر: قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة.

«معجم البلدان»: ٣٩/٢.

وعاد نور الدين إلى الشَّام، وقطب الدين والوزير إلى المَوْصِل، وأتحدت الكلمة.

المحسن بن أحمد بن الحسين القائد^(١)

أبو العلاء الحِمَصي .

ومن شعره: [من المتقارب]

دعا مُهَجَّتِي رَهْنًا أَوْصَابِهَا	وَجِلْفُ هَوَاهَا وَأَطْرَابِهَا
وَكُفًّا فَلَئِي عَنكُمْ شَاغِلٌ	بِتَسْهِيدِ عَيْنِي وَتَشْكَابِهَا
فِي أَلْيِّ مَنْ ظَبْيِيَّةٍ بِالْحِمَى	تَتِيَّهُ بِإْفْرَاطٍ إِعْجَابِهَا
مُقَسِّمَةِ الْحُسْنِ بَيْنَ الْقِنَاعِ	وَبَيْنَ اللَّثَامِ وَجَلْبَابِهَا
فَبَدْرُ الدُّجَى فَوْقَ أَطْوَاقِهَا	وَحَقْفُ النَّقَاتِ تَحْتَ ^(٢) أَثْوَابِهَا

نَظْرُ الْخَادِمِ^(٣)

أمير الحاج بالعراق، حَجَّ نيفاً وعشرين سنة أميراً، كان قد خرج في هذه السنة، فلما وصل الكوفة مريضاً، فاستتاب قيماز الأرزجواني، ورجع إلى بغداد فتوفي، وحمل إلى الرُّصَافَة، فدفن بها.

[وَجَرَى عَلَى الْحَاجِ بَعْدَهُ شِدَائِدٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، نَذَرَهَا.

سمع الحديث من أبي الحَظَّابِ بْنِ الْبَطْرِ وغيره. وقال جَدِّي رحمه الله: خرجت معه في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة حاجاً، ومعني شيء من سماعاته لأقرأه عليه بمكة والمدينة، فلما رأيتُ ظُلْمَهُ وطرحه على الحَمَّالين لم أكلمه، ولم أقرأ عليه شيئاً^(٤).

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٠٢-٤٠٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٧٥-١٧٦، ووفاته في «الخريدة» سنة (٥٤٣هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فوق، والمثبت من «الخريدة» و«الوافي»، وفي «الوافي»: خفق، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٤١/١٠-١٤٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٤١/١٠.